

القَصَصُ الدِّينِي
المحلقة الثانية
قِصَصُ السَّيِّرة

غَزْوَةُ أُجْدَك

عبد الحميد جودة السحار

١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلْقَوَهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .

(قرآن کریم)

انتصر محمد ﷺ على قريش في بدر ، وقتل
 أشرافها ، فاجتمع أبناء الذين قتلوا من قريش ،
 وذهبوا إلى أبي سفيان وسادات القوم ، وقالوا :
 — يا معشر قريش ، إن محمداً قتل خياركم
 فأعينونا على حربته .

واتفقت قريش على أن تخرج لحرب رسول الله ،
 ليشار الناس لأبائهم وأبنائهم وإخوانهم الذين قتلوا في
 بدر . ودعا رجل غلاماً حبشياً له ، يقال له
 « وحشي » ، كان ماهراً في قذف الحربة ، فلما
 يخطيء بها ، وقال له :

— أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة ، عم
 محمد ، بعمتي الذي قتله ، فأنت عتيق .

وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي عُذَّتِهَا ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَائِدَ
النَّاسِ ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ زَوْجَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ،
تُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى قِتَالِ مُحَمَّدٍ ، لِأَنَّ أَبَاهَا عُتْبَةَ ،
وَأَخَاهَا الْوَلِيدَ ، قُتِلَا فِي بَدْرٍ ؛ قَتَلَهُمَا عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ .

٢

بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ ، أَنَّ قُرَيْشًا خَرَجَتْ لِقِتَالِهِ وَأَنَّهَا
نَزَلَتْ عِنْدَ أَحَدٍ ، فَجَمَعَ أَصْحَابَهُ ، وَقَالَ لَهُمْ :
- إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ ، وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ
نَزَلُوا فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا
عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ .

كَانَ رَأْيُ النَّبِيِّ أَنْ يَنْتَظِرَ أَعْدَاءَهُ خَلْفَ أَسْوَارِ
الْمَدِينَةِ ، وَأَنْ يَرْمُوهُمْ بِالْحِجَارَةِ ؛ وَكَانَ هَذَا هُوَ
الرَّأْيُ الصَّائِبُ ، لِأَنَّ جَيْشَ قُرَيْشٍ كَانَ كَبِيرًا ،

فكانت مُقابَلَتُهُ مُجازَفَةً ؛ وَلَوْ أَنَّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ
تَحَصَّنُوا بِالْمَدِينَةِ لَكَانَ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَى جَيْشِ قُرَيْشٍ أَنْ
يَدْخُلُهَا . وَلَمْ يُعْجِبْ هَذَا الرَّأْيُ شَبَابَ الْمُسْلِمِينَ ؛
كَانُوا يَرَوْنَ الْخُرُوجَ لِقِتَالِ الْأَعْدَاءِ فَصَاحُوا :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرِجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا ، لَا يَرَوْنَ
أَنَّا جُبْنَا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
قَبْلَ قُدُومِ النَّبِيِّ ، حَتَّى إِنَّهُمْ فَكَّرُوا قَبْلَ انْتِشَارِ
الْإِسْلَامِ أَنْ يُتَوَجَّهَ مَلِكًا عَلَيْهِمْ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ ، لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ،
فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطَّ إِلَّا أَصَابَ
مِنَّا ، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ ، فَدَعَّاهُمْ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَخْبَسٍ ، وَإِنْ
دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ

وَالصَّبَّانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا
خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا .

وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ الشَّبَابِ تَطْلُبُ الْخُرُوجَ ، فَإِنَّهُ
عَارٌّ أَنْ يَدْخُلَ أَعْدَاؤُهُمْ عَلَيْهِمُ الْمَدِينَةَ : فَدَخَلَ النَّبِيُّ
دَارَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَعْضُ الرِّجَالِ قَالُوا :

— أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَمُكِّثَ بِالْمَدِينَةِ ،
وَلَكِنَّا اسْتَكْرَهْنَاهُ عَلَى الْخُرُوجِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ .
وَخَرَجَ النَّبِيُّ وَقَدْ لَبَسَ عُدَّةَ الْحَرْبِ ، فَجَاءَ النَّاسُ
إِلَيْهِ وَقَالُوا :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ امْكُثْ كَمَا أَمَرْنَا .
فَقَالَ : « مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا أَخَذَ لَأَمَةِ الْحَرْبِ ،
وَأَذِنَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حَتَّى يُقَاتِلَ ؛ وَقَدْ
دَعَوْتُكُمْ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ فَأَيَّتُمْ إِلَّا الْخُرُوجَ ،

فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَأْسِ ، إِذَا لَقِيتُمُ
الْعَدُوَّ .

واجتمع جيشُ المسلمين في المسجد ، وكان عدته
ألفَ رجلٍ ، وأقبلَ النبيُّ يستعرضُ الرجالَ ، ثم دفعَ
رايةَ الحربِ إلى مُصعبِ بنِ عُمير . وقادَ النبيُّ
الرجالَ خارجَ المدينة ، لِيُثَبِّتَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ
أَعْلَى مِنْ أَصْنَامِ الْكَفَّةِ .

٣

اغْتَاطَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، لَمَّا لَمْ يَأْخُذِ النَّبِيُّ
بَنَصِيحَتِهِ ، وَعَمِلَ بِمَشُورَةِ الشَّبَابِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى مَنْ
خَرَجَ مَعَهُ لِلْقِتَالِ مَعَ النَّبِيِّ ، وَقَالَ :
- أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي ، مَا نَذَرِي عِلَامَ نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا ؟
وَرَجَعَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانُوا ثَلَاثَ النَّاسِ .

وَاسْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ فِي السَّيْرِ بِمَنْ يَبْقَى مَعَهُ ، حَتَّى
بَلَغَ جَبَلَ أَحَدَ ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحَدَ ،
وَأَجْلَسَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَّةِ فَوْقَ جَبَلٍ آخَرَ ، وَأَمَرَهُمْ
أَلَّا يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ مَهْمَا حَدَّثَ شَيْءٌ إِلَّا بِأَمْرِهِ ،
وَأَلَّا يُفَارِقُوا مَكَانَهُمْ مَهْمَا بَلَغَتِ الظُّرُوفُ .

وَجَعَلَ يَصِفُ حَمَلَةَ السُّيُوفِ ، بِحَيْثُ كَانَ كَتِفُ
كُلِّ مِنْهُمْ إِلَى كَتِفِ أَخِيهِ ، لِيُقَابِلُوا هُجُومَ قَرِيشٍ
كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ . كَانَ جَيْشُهُ سَبْعِمِائَةَ مُقَاتِلٍ ،
وَكَانَ جَيْشُ أَبِي سُفْيَانَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ؛ وَلَكِنَّهُ
كَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّ رُوحَ جَيْشِهِ أَقْوَى مِنْ رُوحِ جَيْشِ
أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَوْ أَطَاعَ جَيْشُهُ أَوْامِرَهُ ، لَأَنْزَلَ الْهَزِيمَةَ
بِأَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ .

وَوَضَعَ الْقُرَشِيُّونَ فِي السَّهْلِ الْمُنْبَسِطِ أَمَامَ جَبَلٍ

أُحْد ، وَتَقَدَّمُوا حَتَّى أَصْبَحُوا أَمَامَ جَيْشِ مُحَمَّدٍ وَجْهًا
لَوْجِه ، وَبَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ ، وَكَانَتْ تَبْدَأُ بِالْمُبَارَزَاتِ
الْفَرْدِيَةِ .

خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَطْلُبُ الْمُبَارَزَةَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ
حَمْزَةُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ ،
فَضْرَبَ حَمْزَةُ الرَّجُلَ بِسَيْفِهِ فَقَتَلَهُ ، فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي
طَلْحَةَ مِنْ صُفُوفِ قُرَيْشٍ ، وَهُوَ بَطْلٌ مِنْ أَبْطَالِهَا ،
وَصَاحَ : « يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَنْ يُبَارِزُ ؟ » .

فَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ ، فَصَاحَ ثَانِيَةً :

— يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَنْ يُبَارِزُ ؟

فَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَصَاحَ :

— يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، زَعَمْتُمْ أَنَّ قَتْلَكُمْ فِي
الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ قَتْلَنَا فِي النَّارِ ، كَذِبْتُمْ وَاللَّاتِ ، لَوْ
تَعْلَمُونَ ذَلِكَ حَقًّا لَخَرَجَ إِلَى بَعْضِكُمْ .

فخرج إليه عليُّ بنُ أبي طالب ، وتبادلا الصُّرَبَات ،
وأحسَّ ابنُ طلحةَ بأنَّهزأه ، ففرَّ من وجهه عليّ ،
ولكنَّ عليًّا عاجله بضربةٍ ، أطاحت رأسه .

وبدأت المعركة ، فاندفع المسلمون من فوق
الجبل ، وهم يصيحون :

— أَمِتْ ... أَمِتْ .

وراح المسلمون يقتلون الكفار ، وكان خالدُ بنُ
الوليدِ في صفوف قريش ، وكان قائدَ فرسانِ
المشركين ، فراح يُحاولُ أن يُلْفَ بفُرسانيه حولَ
جيش محمد ، ولكنَّ رُماةَ محمدٍ الذين كانوا فوق
الجبل الآخر ، كانوا يُصَوِّبون سهامهم إلى فرسانيه ،
فیرجعون .

وانسحبَ العدوُّ مهزومًا ، ولم يتبَّه المسلمون
للقضاء عليه ، بل راحوا يجمعون الغنائم ؛ ورأى

الرُّمَّةُ ذَلِكَ ، فَحَسِبُوا أَنَّ الْمَرْكَةَ قَدْ انْتَهَتْ فَصَاحُوا :
- الْغَنِيْمَةُ ، الْغَنِيْمَةُ .

فصاح قَائِدُهُمْ فِيهِمْ :

- عَهْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلَّا تَبْرَحُوا .

فَقَالَ الرُّمَّةُ :

- انْهَرَمَ الْقَوْمُ ، بَدَأَ إِخْوَانُنَا فِي جَمْعِ الْغَنَائِمِ .

وَتَرَكُوا أَمَاكِيَهُمْ ، وَعَصَوْا أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ،
وَذَهَبُوا لِيَجْمَعُوا الْعَنَائِمَ ، فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
ذَلِكَ ، وَكَانَ قَائِدًا مَاهِرًا ، أَدَارَ فُرْسَانَهُ ، وَجَاءَ مِنْ
خَلْفِ الرُّمَّةِ ، وَأَخَذُوا يُوجِّهُونَ سِهَامَهُمْ إِلَى
الْمُسْلِمِينَ ، بَيْنَ أَحَدٍ وَجَبَلِ الرُّمَّةِ ، وَرَاحَتِ الرَّمَاخُ
تَحْتَرِقُ صُدُورَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، كَانَتْ مَفَاجِئًا
عَظِيمَةً بَدَّلَتْ الْمَرْكَةَ ، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ

منتصرين ، أصبحوا يدافعون عن أنفسهم دفاع
اليائسين .

ولمخ وحشي حمزة ، فرقع حرثته وهرها ، ثم
رمى بها حمزة ، فسقط ودمه يسيل ، ثم فارق
الحياة ، وجاء وحشي فأحد حرثته ، وذهب إلى
هد ، يخبرها أنه قتل حمزة ، الذي قتل أباهما وأحاهما
يوم بدر .

وجاءت هند إلى جثة حمزة ، وفتحت بطنه
وجذبت كبده ، وجعلت تلوكها في فمها ، لتطفىء
نار الحقد المتوقدة في خوفها ، وفي ذلك الوقت
تفرق المسلمون عن النبي ﷺ ، ولم يبق معه إلا علي
وعمر وأبو بكر ، وبعض نفر من المسلمين يدافعون
عنه .

وَلَمَحَتْ أُمُّ عُمَارَةَ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً تَسْقِي
 الْمُحَارِبِينَ الْمَاءَ ، انْهَزَامَ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَلْقَتْ
 بِالْقِرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا ، وَتَنَاوَلَتْ سَيْفًا ،
 وَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، تُدَافِعُ عَنْهُ مَعَ مَنْ ثَبَتَ
 مَعَهُ ؛ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَصِيحُ :

- ذُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَلَا نَجْوَى إِنْ نَجَا .

فَاعْتَرَضَتْهُ أُمُّ عُمَارَةَ ، فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ فَجُرِحَتْ ،
 وَلَكِنُّهَا ضَرَبَتْهُ ضَرْبَتَيْنِ ، فَفَرَّ مِنْ أَمَامِهَا .

وَصَاحَ صَاحِحٌ :

- أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ .

وَحَسِبَ أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ ، فَأَمَرَ
 بِوَقْفِ الْقِتَالِ ، فَمَا جَاءَ إِلَّا لِيُقْتَلَ مُحَمَّدًا ، وَلِيُثَارَ مِنْ
 حِزَّةٍ ، لِيَرْضَى زَوْجَتَهُ ؛ وَجَمَعَ رِجَالَهُ حَوْلَ لَوَائِهِ :

ورأى أحد المسلمين رسول الله ، بعد أن ظن أنه
قُتل في المعركة ، فصاح في فرح :

— يا معشر المسلمين ، أبشروا ! هذا رسول الله .
فأشار له رسول الله أن يسكت ، وراح أبو
سفيان يبحث عن جثة محمد بن القتلى ، فلمَّا لم
يجدها أحس خيبة أمل ، وصاح :

— أفي القوم محمد ؟

فقال النبي : « لا تجيبوه » .

فصاح أبو سفيان :

— أفي القوم ابن أبي قحافة (أبو بكر) ؟

فقال النبي : « لا تجيبوه » .

فصاح أبو سفيان :

— أفي القوم ابن الخطّاب ؟

فلم يسمع أبو سفيان صوتاً ، فقال :

- إن هؤلاء قُتِلُوا ، لو كانوا أحياء لأجابوا .

فلم يستطع عمر أن يصبر ، فقال : « كَذَبْتَ

يا عدو الله ، أبقي الله عليك ما يُخزيك » .

واستعد المسلمون لِيَسْتَأْنِفُوا الْقِتَالَ ، ولكن أبا

سفيان لم يقبل هذا التحدى ، بل قال : « يوم يوم

بدر ، اغل هبل ، لنا العزى ولا عزى لكم » .

فأجابه عمر : « الله مولانا ، ولا مولى لكم » .

فقال أبو سفيان : « إن موعدكم بدر العام

المقبل » .

فقال عمر : « نعم بيننا وبينكم موعد » .

وجمَعَ أبو سفيان رجاله ، وذهب إلى مكة ،

وهبط النبي ﷺ ليرى من قُتِلَ من رجاله ، فلما رأى

عَمَّهُ هَمَزَةٌ قَتِيلًا ، دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَنَزَلَ بِهِ حُزْنٌ ثَقِيلٌ .

وَحَزِنَ الْمُسْلِمُونَ لِمَا أَصَابَهُمْ ، بِسَبَبِ عِصْيَانِ
أَوَامِرِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَلَكِنْ مُسِحَ مِنْ صُدُورِهِمْ ذَلِكَ
الْحُزْنُ ، لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ
كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ .